

## كامل شياع

اغتيالك ياكامل صعقتنا جميعا، نحن اصدقاءك، ولديك الكثير من الاصدقاء والمحبين، كل يحبك على طريقته الخاصة والكل يشعر بانك كنت قريبا منه بشكل خاص.

اغتيالك كان خارج الحسابات والتوقعات. لايزال كل من عرفك عن قرب يشعر بالصدمة. لايمكن ان نتخيل بانك ستفارقنا الى الابد. لايمكن ان نتخيل بان هناك من يتمكن من ايدائك وانت لاتفكر بايذاء حتى اعدائك، هل كان لديك اعداء؟ لا اعتقد.

الذين اغتالوك هم اعداء الانسانية ، اعداء الحياة ، اعداء الفكر الحر.

صدمة فقدانك يا كامل هي اكتشاف مناطق جديدة من اختبار الالم ، الالم الذي اصبح يفاجئنا بقدرته على الذهاب بعيدا، بعيدا الى مناطق مجهولة، ويثير اسئلة محيرة في امتحان طافة التحمل القصوى . ونحن ننساق ورائه متسائلين بخوف ، هل يوجد ما هو اكثر؟

لم اكن اتصور بانني ساجرب بعدا اخر للوعة، بعد فقدان الصديقة امال معلمجي بحادث مماثل، من زمن لست اعلم الان ان كان بعيدا ام قريبا، احداثا كثيرة مرت منذ ذاك، لكن صدمة فقدانك وضعتني امام تجربة جديدة من الالم ، او من اختبار مشاعر جديدة، لا اعلم ان كانت بعض المقدرات المحدودة التي نستخدمها تعبر عن بعضها : الالم ، المرارة ، الحزن ، الاسى، اللوعة... ليس الوصف هو المشكلة ، تعريف الحالة هو المشكلة. ومع هذا احاول:

اللوعة لفقدانك كصديق رائع بشفافيته وكامل بانسانيته  
الحزن على خسارتك كمتقن نادر بعلمه وتواضعه  
الاسى على وطن لم يعرف كيف يحافظ عليك ولم يعلم قيمة ما قدمته له  
الالم لرؤية قتلتك وهم مستمرون في هوسهم بدون اي رادع وليس هناك من يجرو حتى على التفكير بمحاسبتهم على جريمتهم البشعة  
المرارة للشعور بالعجز عن معرفة مايمكن عمله لايقاف هذا الاندفاع المجنون نحو الضياع النهائي

ولاعلم وانا اتذكر نقاشاتنا المطولة، ان كان علي الشعور ببعض الندم ،لاني كنت اعتب عليك باستمرار، لكونك ارتضيت لنفسك دور الموظف الحكومي، وكنت اراك اكبر من اية وظيفة حكومية مهما علا منصبها . كنت احاول ان استغفر المفكر فيك لينتصر على الموظف ، لكنك في النهاية انتصرت على الاثنين وبلورت لنفسك تجربة فريدة مازجا بينهما . كنت اريد من المفكر فيك ان يفك طلاسم هذا الواقع السيربيالي الذي نعيشه وانت تراقب تفاصيله المتشابكة عن قرب، فهل حل اغتيالك بعضا من هذه الطلاسم ام جعل الصورة اكثر قتامة وقنوطا؟

اتذكر، انه في يوم الثامن من اذار عام ٢٠٠٥ ، كان قد تملكني شعور منذ الصباح بانني اريد ان احتفل بهذا اليوم بشكل مميز، يوم المرأة العالمي في بغداد. كانت الاختيارات محدودة جدا، فلم يكن امامي سوى ان اذهب الى احتفالية وزارة الثقافة بهذه المناسبة ، وذهبت ووجدت المكان يغص بالحاضرين والمحتفلين من المسؤولين والعامّة . لكن الاجواء كانت تعج بالصراخ والشعارات المتشنجة والخطب المليئة بمدائح المسؤولين في الوزارة ، فشعرت بانني يجب ان اخرج من هذ المكان ، فرايتك وانت تخرج ايضا من القاعة والتقينا عند الباب، فقلت لي بانك كنت مدعو لالقاء كلمة بهذه المناسبة وانك قد كتبتها بعناية لكنك لاتريد ان تلقيها وسط هذا الهرج ، ودعوتني الى غرفة مكتبك لتطلعني عليها ، والقيتها على وكنت انا جمهورك الوحيد، كانت من اروع ماسمعت وقرات بحق المرأة ، كانت كلمة امتزج فيها الفكر بالشعر بالرؤية الانسانية العميقة للمرأة ودورها في الحياة وفي صنع كل ما هو جميل فيها .

نقاشاتنا التي بداناها على التلفون بين بلجيكا والنمسا ، حتى قبل ان نلتقي، والى اخر مكالمة بيننا على الهاتف قبل رحيلك ببضع ساعات ، كنت فيها دائما متفانلا بالاتي بالرغم من اشمنزازك لما يحصل من بشاعات، ليس فقط فيما يتعلق بدوامة العنف المستشري وانما حتى من تفاصيل حياتية صغيرة، كنت محاطا بها بحكم العمل وبحكم تخليك عن كل المظاهر التي يحرص المسؤولون على الحصول عليها مثل الحماية والسكن والامتيازات الاخرى.

بغداد ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ كانت مدينة الموت الاولى في العالم ، الخوف كان يمكن لمسها ورؤيته ، كنا نكسر تلك الاجواء القاتلة بلقاءات نرفضها على ملك الموت الهيستيري، لنصنع اجوائنا الخاصة بنا كمجموعة من الاصدقاء والاصديقات نلتقي لتتحدث وتنتاقش ونسمع الموسيقى ونروي النكات ونتمتع بالاكالات المطبوخة من قبلنا بشكل مشترك، كنا نحاول ان نصنع عالما طبيعيا نعيش فيه ولو لساعات قليلة، كنا نتسائل بعدها عند عودتنا الى ايقاع الحياة العنيف من حولنا، هل كانت تلك الساعات التي قضيناها في بغداد ام على كوكب اخر؟ وهل اصبحت بغداد فعلا عالما اخر يمتلكه فقط السراق والفاسدون والمجرمون والقتلة ولاماكن فيها للحالمين من امثالنا؟

في مكالمتك الاخيرة لي قبل رحيلك المفجع ببضع ساعات، كنت تخطط فيها للقاء مماثل قريب مع نفس المجموعة من الاصدقاء او ماتبقى منهم، قلت: يجب ان نلتقي كما في السابق وساطبخ لكم بنفسى...

لقد اتفقنا ايها الغالي على تلبية دعوتك، حتى وانت راحل عنا، و سنلتقي في بيتك لنودعك بالشموع والموسيقى والشعر وكل الاشياء الجميلة التي كنت تحبها.

دعوة لكل الاصدقاء بان نجمع كل ما كتبه كامل لنصدره في كتاب يحمل اسمه وافكاره ، عسى ان ياتي الزمن الذي حلم به ليعطيه ما حرمه منه في حياته الغنية .

شروق العبايجي